

## الفصل الثالث

### المنهج السلفي يقيم الدولة العصرية

(إننا لا نبقى التجديد الذي يفقدنا ديننا وعقليتنا .  
ليس هناك دليل أو سنة تمنع إحدنا من الاعتراف) .  
الملك عبد العزيز

فرضت جيوش عبد العزيز سيطرتها على أقطار الجزيرة العربية في حزم من لا يريد سفك الدم إلا بقدر ، وفي حذر . كان في مطالع الشباب والنصر في ركابه ، وفي فترة سبقت الحرب العالمية الأولى ، والإمبراطورية التركية تريد أن تنقض ، وألمانيا تراحم الدول العظمى بمنكب عظيم . فلما دارت رحى الحرب (١٩١٤ - ١٩١٨) - فرض عبد العزيز حياجه على عالم لم يألف ذلك من العرب . ولما وضعت الحرب أوزارها حل يوم الحساب لشريف مكة ، وكان إنجليزى الولاء . فسارت إليه جيوش عبد العزيز ، وخلع أهل مكة الشريف (حسين) ، وحملت سفائن إنجلترا ابنه الملك عليا ، فدخل عبد العزيز سنة ١٣٤٣ - ١٩٢٤ مكة المكرمة .

واجتمع العلماء والأعيان فأعلن فيهم جملة الخلاف الذى يحمل السلاح من جرائه :  
قال فيما قال : (يقولون إننا نذكر شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة ! معاذ الله أن نقول هذا . وإنما نطلب من الله أن يشفع فينا نبينا : (من ذا الذى يشفع عنده إلا بأذنه ؟) البقرة/٢٥٥ . بل ندعو الله أن يشفع فينا الولد الصغير ونقول : (اللهم اجعله فرساً لأبويه) ولا نطلب شفاعة الطفل . وأما حجة الأولياء والصالحين فمن ذا الذى يغضبهم منا ؟ فإن كان هذا مقبولاً عندكم فتعالوا تباع على كتاب الله سنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده) .

قالوا : كلنا تباع :

قال : (أعيذكُم بالله من التقية . لا تكتُموا شيئاً) .

وفاقه علماء مكة علماء نجد ، فاتفقوا على (أن من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه يدعوهم ويرجوهم في جنب نفع أو دفع ضرر فهو كافر حلال الدم والمال . وأن البناء على القصور واتخاذ السرح عليها وإقامة الصلاة فيها بدعة محرمة في الشريعة ، وأن من سأل الله بجاه أحد من خلقه فهو مبتدع مرتكب حراماً) .

وتكلم عن التجديد فقال : (إن التمدن الذى فيه حفظ ديننا وأعراضنا وشرفنا «مرحبا به وأهلاً» وأما التمدن الذى يؤذينا فى أدياننا وأعراضنا وشرفنا فوالله لن ندع له ولن نعمل به ولن قطعت منا الرقاب) .

وفى غرة ذى الحجة ١٣٤٧ (١٩٢٩/٥/١١) خطب الحجيج بمكة ليعلم التزامه بالمنهج السلى ويحدد أبعاده فقال : (يسموننا بالوهابين ويسمون مذهبنا الوهابى باعتبار أنه مذهب خاص . . . نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة ، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد . فعقيدتنا هى «عقيدة السلف الصالح» التى جاءت فى كتاب الله وسنة رسوله . ونحن نحترم الأئمة الأربعة ، ولا فرق عندنا بين مالك والشافعى وأحمد وأبى حنيفة ، كلهم محترمون فى نظرنا ، إننا لا نبغى التجديد الذى يفقدنا ديننا وعقيدتنا . . . ) .

وفى ٢٠ من جادى سنة ١٣٥١ - ١٨ من سبتمبر ١٩٣٣ أعلن قيام المملكة العربية السعودية فى جزيرة العرب .

وفى حجيج سنة ١٣٥٢ (١٩٣٤) زاد تحديداً فقال : (وقد جعلنا الله مبشرين بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح ، لا نقيد بمذهب دون آخر ، ومتى وجدنا الدليل القوى فى أى مذهب من المذاهب الأربعة رجعنا إليه وتمسكنا به ، أما إذا لم نجد دليلاً قوياً فنأخذ بقول الإمام أحمد) .

وكما صنع هذا المسلم العظيم ملكه بالعلم السلى - - صنعه بالمسلك السلى الذى يهب للمسلم كل القوة ، إذ يدرك من معنى الشهادة ومنطق العبادة : أن الله أكبر . وأن من كان الله معه فهو منصور .

وبالتوحيد الخالص صارين المسلمين فى عصره «المسلم الأول» . وهذا درس فى العظمة خليف بكل مسلم أن يتعلمه .

يقول روزفلت : أول وآخر أمريكى رأس أمريكا مدداً أربعاً - لصديقه «برنارد باروخ» أول رئيس للجنة الطاقة الذرية وأمريكا فى أوج انتصارها العالمى : (إن هذا الملك العربى ذا الإرادة الحديدية هو الوحيد من بين جميع من عاملتهم طول حياتى الذى لم آخذ منه إلا أقل شئ - بلادى» (١) .

(١) ورد النص بالفرنسية فى كتاب فيصل ملك العربية

Faycal. Roi d'Arabie.  
Benoist M chin.

لؤلفه بنو أميشان  
والنص الفرنسى :

Parmi tous les hommes auxquels j'ai eu affaire au cours de ma vie, je n'ai pas rencontré un seul, dont j'ai pu moins tirer que ce monarque à la volonté de fer.

فلقد التقى الرجلان على ظهر البارجة كوينسى فى البحيرات المرة (فى أرض مصر) والحرب العالمية الثانية فى عنقائها . قال روزفلت :

أنا سعيد بلقائك . ماذا أستطيع أن أصنع لك ؟

قال ملك العرب : إنك دعوتى للقائك فأنا أتوقع أنك تطلب منى شيئاً .

واستطردا إلى السياسة ، فأعلن الملك وجوب جلاء الإنجليز والفرنسيين ، المنتصرين فى الحرب والمتحالفين مع روزفلت ، عن كل بلاد العرب التى يحتلونها فى آسيا وأفريقية .

وهذا الذى أعلنه لرئيس أمريكا سنة ١٩٤٥ فى الحرب العالمية الثانية عالماً به القائد التركى (أنورباشا) قبل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) ليجلو الأتراك عن أرض العرب .

وفى اللقاء ذاته طلب إليه رئيس أمريكا أن يوافق على زيادة هجرة اليهود إلى فلسطين فأجاب : (إبنى - على النقيض من ذلك - أطلب أن يقل عدد الموجودين منهم فيها) .

وفى ١٥ نوفمبر من العام ذاته خطب الحجاج فيما صار قضية الإسلام كله . فقل لممثليهم المجتمعين بمكة .

(إن مسألة فلسطين أهم ما يشغل أفكار المسلمين هذه الأيام ، وقد سبق أن تكلمت مع أركان الحكومة البريطانية ، كما تحدثت مطولاً مع الرئيس روزفلت) .

ومن أجل فلسطين حاربت الأمة العربية حروب سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٧٣ وستحارب .

ولما نشرت الوثائق السياسية فيما بعد ظهر أنه كتب إلى روزفلت فى ٧ شوال سنة ١٣٥٧ = ١٩٣٨/١١/٢٩ : (لقد ظهر من البيان الذى نشر عن موقف أمريكا من قضية فلسطين أنه قد نظر إليها من وجهة نظر واحدة هى وجهة نظر اليهود والصهيونية وأهملت وجهات نظر العرب ، وقد رأينا من آثار الدعاية اليهودية الواسعة النطاق أن الشعب الأمريكى الديمقراطى قد ضل تضليلاً عظيماً أدى إلى اعتبار مناصرة اليهود على سحق العرب فى فلسطين عملاً إنسانياً . . . وأنا على ثقة بأنه إذا اتضح لفخامتكم وللشعب الأمريكى حق العرب فى فلسطين فإنكم ستقومون بنصرته حق القيام) .

وأتبع هذا الاحتجاج بالتحذير الذى أثبتت الأيام صدق بصر صاحبه بالأمر ، فى رسالة مؤرخة فى ٢٥ من ربيع الآخر سنة ١٣٦٢ = ١٩٤٣/٤/٣٠ يقول فيها : ( . . . لقد سبق أن كتبت لفخامتكم . . . كتاباً أوضحت فيه حقيقة الأمرين العرب واليهود فى فلسطين ، وكنت بعد كتابى المشار إليه لفخامتكم أعتقد أن حق العرب فى فلسطين أصبح واضحاً لفخامتكم . إننا لا نريد محو اليهود ولا نطالب بذلك ، ولكننا نطالب بالألا يحى العرب من أرض فلسطين من أجل إسكان اليهود فيها !

إنه - لا سمح الله - لو أعطى اليهود بغيتهم في فلسطين لظلت فلسطين مقر الفتن دائماً ، كم حصل في الماضي ، تسبب المتاعب للحلفاء عامة والحكومة بريطانية خاصة ، واليهود بما أوتوا من قوة في المال والعلم قادرون على إيقاع الشقاق بين العرب والحلفاء في كل وقت - حرر في مخيمنا بروضة خريم في اليوم . . . ) .

وبعث إليه روزفلت مبعوثاً شخصياً (الكولونيل هاري هوسكنز) يستطلع : ما إذا كان الملك يقابل (حاييم وايزمان) - أحد مؤسسي إسرائيل؟ فوضح الملك الكبير الجميع مواضعهم . فكتب إلى روزفلت في رجب سنة ١٣٦٢ (يوليو ١٩٤٣) يشير إلى الخططين السابقين لم يقول . . . (أما الشخص الذي هو حاييم وايزمان فهذا الشخص بيني وبينه عداوة خاصة ، وذلك لما قام به نحو شخصي من جرأة مجرمة ، بتوجيهه إلى دون جميع العرب والمسلمين تكليفاً دينياً لأنكون خائناً لديني وبلاد ، الأمر الذي يزيد البغض له ولن يتسبب إليه ، وهذا التكليف قد حدث في أول سنة من الحرب إذ أُرسل إليّ شخصاً أورياً معروفاً يكلفني أن أترك مسألة فلسطين وتأيد صفوف العرب والمسلمين فيها ، وسلم إلى عشرين مليون جنيه مقابل ذلك ، وأن يكون هذا المبلغ مكفولاً من طرف فخامة الرئيس روزفلت نفسه ! فهل من جرأة أودناء أكبر من هذه . . . ؟ وهل من جريمة أكبر من هذه الجريمة ؟) .

• • •

لم تكن الانتصارات في ميادين المعارك ولا إقامة الدولة بتأمرها إلا كهيئة الصعود إلى قمة الجبل . والاستقرار فيها أشق من الصعود إليها . وأشق منها أن يجارى الصاعد المستقر رياح التغيير وأن تصدر مبادرات التغيير عنه .

والعمل للإصلاح الداخلي كهيئة إصلاح النفس أشق من إصلاح الغير وأدق . وفي هذا الميدان الخطير كان عبد العزيز كدأبه غزاة ميادين وبناء دول ، فخاض معركة التجديد ببراعة وورع ، وآتاه الله الزمن فأحسن استعماله : فلقد لبث في قومه عشر سنين ينصحهم باستعمال التليفون .

وفي سنة ١٩١١ اعترض البعض لاستعمال البرق (التلغراف) فكان جوابه من صميم الأصول الفقهية التي يعلمها ابن عبد الوهاب : ليس هناك دليل أو سنة تمنع إحداثه : أي أنه يستعمل « أصل الإباحة » .

وكذلك كان شأن السيارات والدراجات وأمثالها من وسائل الحضارة ، فادام لا يوجد نص يقطع بالمنع فعلياً أن نجتهد لاستخلاص حكم الشارع فيما تصلح به الدنيا كما يأذن لناها الدين . وفي سنة ١٣٤٥ = ١٩٢٧ اجتمع رؤساء الإخوان في الأرباطية وأنكروا عليه أموراً .

- ١ - إرساله ولده سعوداً إلى مصر .
- ٢ - إرساله ولده فيصلأ إلى لندن .
- ٣ ... استخدامهم السيارات والتلغرافات والتليفون .
- ٤ - فرض الضرائب في الحجاز ونجد .
- ٥ - منعه المتاجرة مع الكويت .
- ٦ - إذنه لعشائر العراق وشرق الأردن بالرعى في بلادهم .

وعجل يجمعهم للمشورة ، فاجتمعوا في الرياض وأصدروا فتاواه المشهورة (١) .

وفي العام التالي جمعهم في بريدة ١٣٤٧ = ١٩٢٨ وجمعهم مرة ثالثة لمناقشتهم في تعلم الرسم

(١) ( من محمد بن عبد اللطيف و... إلى من يراه من إخواننا المسلمين سلك الله بنا وبينهم الطريق المستقيم وجبنا وإياهم طريق الجمع آمين... سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فقد ورد علينا من الإمام سنده لله تعالى سؤال من بعض الإخوان عن مسائل تطلب منا الجواب فأجناه بما نصه :  
أما مسألة التبرق التلغراف غير السلكي - فهو أمر حادث في آخر الزمان ولا تعلم حقيقته ولا رأياً فيه كلاماً لأهل نعلم . نتوقف في مسأله ، ولا نقول على الله ورسوله غير علم .

وأما مسجد حمزة وأبي رشيد فأفتينا الإمام - وفقه الله - بهدمها على الفور .  
وأما القوانين فإذا كان منها شيء بالحجاز فيزال فوراً ولا يحكم إلا بالشرع المطهر .  
وأما دخول الحاج المصري بالسلاح وثقوة في يده الله يحرم فأفتينا الإمام بجمعهم من الدخول بالسلاح والثقة من إظهارهم الشرك وجميع المنكرات .

وأما المحمل فأفتينا بجمعه من دخول المسجد الحرام ومن تمكن أحد أن يتسبح به ويقتله . وما يفعله أهله من الملامى والمنكرات يمتنعون منها وأما منعه من مكة بالكلية فإن أمكن بلا مفسدة تتعين والا فاحتال أحد المفسدين - لدفع أعلامها سائغ شرعاً .  
وأما الرافضة فأفتينا الإمام أن يلزمهم البيعة على الإسلام وجمعهم من إظهار شعائر دينهم الباطل . وعلى الإمام أيضاً أن يلزم نائبه على الأحساء أن يعرضهم عند الشيخ ابن بشر ويأبون على دين الله وترك دعاء الصالحين من أهل البيت وغيرهم . وعلى ترك سائر البدع من اجتماعهم على ما بينهم وغيرها مما يقيمون به شعائر مذهبيهم الباطل وجمعهم من زيارة المشاهد . ولذلك يبرمون الاجتماع للصلوات الخمس هم وغيرهم في المساجد . ويرتب فيهم أئمة ومؤذنون وتواب من أهل السنة ويلزمون تعلم ثلاثة الأصوب وكذلك فإن كانت لهم محل معينة لإقامة البدع تهدم . وجمعهم إقامة البدع في المساجد وغيرها من أي قبول ماذكريتي من بلاد اسميين .  
وأما الرافضة من أهل القطيف فيلزم الإمام أبده الله - الشيخ ابن بشر أن يسافر إليهم ويلزمهم ما ذكره .

فأما البيوادي التي دخلت في ولاية المسلمين فأفتينا الإمام أن يبحث لهم دعاة ومعلمين ويلزم بوابه من الأمراء في كل ناحية مساعدة المذكورين على إلزامهم بشرائع الإسلام ومنعهم من الهرمات . . .  
وأما رافضة العراق الذين انتشروا وخالفوا بأدبة المسلمين فأفتينا الإمام بكنفهم عن الدخول في مواقع المسلمين وأرضهم .  
وأما المكوس فأفتينا أنها من الهرمات الظاهرة فإن تركها فهو الواجب عليه ، وإن امتنع فلا يجوز شق عصا صاعة المسلمين وخروج عن طاعته لأجلها .

وأما الجهاد فهو يحول إلى نظر الإمام وعليه أن يرعى ماهر الأصلح للإسلام والمسلمين على حسب ما تقتضيه الشريعة الغراء .  
ونسأل الله لنا ولكم وجميع المسلمين التوفيق والهداية . . . . .

ونفذ الإمام فلم يقبل المحمل . وهدم مسجد حمزة . وعطل التلغراف . ثم فرضه الزمان على الجميع في حياة عبد العزيز .

واللغة الأجنبية والجغرافيا . فلقد كانوا ينكرون كروية الأرض مع أن هذا كشف عرى قديم . فلم يبحثوا بدليل ضدها ، بل أجابوا بما يمكن إجماله في العبارة التالية : ( لقد أدلينا برأينا فإن قبل الإمام ما رأينا فالحمد لله ، وإن خالفنا فليست هذه أول مرة يخالفنا فيها ) .

وهكذا عمل العلماء بأصل طاعة الإمام إذا لم يأمر بمعصية ، وساروا وراءه في أصل الإباحة . وهم العليمون باقتداره في اجتهداه وإخلاصه لله وورعه . وهم سلفيون يحفظون حديث عبادة بن الصامت - وكان أحد النقباء : ( بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرا ويسرا ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا . وعلى ألا تنازع الأمر أهله . قال إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان . وأن تقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ) .

وبارك الله في الأرض التي يُعبد فيها الله وحده . فتفجرت فيها ينابيع البترول في حياة عبد العزيز . فضلاً من الله ونعمة ، وإيداناً بعصر جديد تعلو فيه كلمة المملكة السعودية ، ومعها كلمة الأمة العربية ، أي كلمة الإسلام .

وفي سنة ١٩٥٣ صعدت روحه إلى الرفيق الأعلى فتتابع على الملك أبناؤه سعود ففيصل فحالد .

### الملك فيصل بن عبد العزيز :

لئن مثل عبد العزيز وابنه فيصل روح الدعوة الوهابية وهو إحياء العقيدة الصحيحة وإيقاظ المسلمين - إن لفصل شأنًا خصته به السماء هو أن يثبت حضور ابن عبد الوهاب في عصرنا الحاضر ، في فترة حاسمة كل الحسم في تاريخ المسلمين : ففي فيصل تجتمع دماء ( محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود ) فأمه بنت عبد الله بن حسن قاضي قضاة نجد وحفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

قرأ القرآن على جده . وسقى الورع منذ الحداثة . وقاد جيوش أبيه وهو في مطلع شبابه ، ففتح عسير سنة ١٣٤٠ . واختص بتمثيل أبيه في محافل السياسة . فلما جاء إليه الملك جاءه في ميادين السياسة والشجاعة والورع والزهد وعلوم السلف .

وكان ابن عبد العزيز حقاً ، وحفيد محمد بن عبد الوهاب صدقاً . حي حياة زاهدة لا طاقة بها للملوك ، ولملت في أفعاله ومضات فكر أخلص صاحبه لله وللناس ، فسار سيرة السلف الصالح ، فكان كما عبر عنه بعض الفرنجة رجل علمين : الدنيا والآخرة !

تخضّل عينه بالدمع أو ينهل من مأثيئه القطر إذ يستمع إلى خطبة الجمعة ، - في حين يدفع بساعدين قوين جزيرة العرب في ميادين الحضارة العصرية التي يأذن بها الإسلام . ويشيد

الجامعات الدينية والعلمية والصناعات الحديثة والزراعات المختلفة ، ويعلم المرأة ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويفتح الميادين لشعبه ، ويمد يد المساعدة لأهل الإسلام في أكثر من مكان . ولما دنت ساعة العسرة حمل مسئولية الإسلام كله على عاتقه . فجالد الدول العظمى جلاد رجل عرك السياسة العالمية ، فجعلها أسمع للحق وأنطق بالصدق ، وأبصر بحقوق العرب . يومئذ دخل فيصل التاريخ مدخل صدق : إنه الرجل الذي صيرَ البترول - عصب الحرب والسلام - مصدر قوة للعرب بعد إذ كان منشأ خوف لهم

والله الذي يرسل السحاب والغيث حيث يشاء ، ويخرج الخير من الأرض حيث يشاء - ينصر بالقيم الدينية التي تقيم الأمم ، وبالقوة المادية التي تلزم للانتصار .

فلم يك صدقة ، وإنما كان حساباً من حسابات السماء - أن تفتح بركاتها في حياة الملك الصالح فيصل بن عبد العزيز ، فتدر آبار البترول من باطن الأرض على جزيرة العرب لتنتق على مكانة الإسلام .

وصدق فيصل عهده لله وللمسلمين يوم أعلن (إن كبرى أمانى أن أصلي في بيت المقدس قبل أن أموت) ليبقى استرداد أولى القبلتين صيحة للحرب ، وغرضاً للسلام ووصية لأهل الإسلام ، من ابن محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب .

ولئن كانت إشارة عبد العزيز إلى «مخيمنا بروضة خريم إذ يكب إلى «روزفلت» تمكناً بالعروبة وفحولة بساطتها ، إن شجاعة فيصل وإيمانه بصنيع السماء في الانتصار العربي في العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ - أعادت للمسلمين ذكريات صلاح الدين في حطين وفي بيت المقدس ، وأمكنته أن يقول لرئيس أمريكي آخر يوم طار إليه (الرئيس نيكسون) في جزيرة العرب : (لقد ولدنا وولد آباؤنا في الصحراء ونحن من أجل أمتنا على استعداد للعودة إلى الصحراء) .

ووفر بعض ذلك المقال بأنه التهديد . وفسره بعض بأنه إعلان بالاستعداد أو الجهاد . وصدق رسول الله ﷺ : (مثل أمتي كالمنظر لا يدرى أوله خير أم آخره)

ولقد شاءت السماء لفيصل أن يموت ميتة الشهداء . برصاصة بجثون سنة ١٣٩٥ = سنة ١٩٧٥ . فلما صعدت روحه إلى الرفيق الأعلى ترك المملكة العربية السعودية عاشر دولة في العالم من حيث المساحة . تزيد مساحتها مرة ونصف المرة على مساحة دول السوق الأوروبية المشتركة التسع . جماع سياستها في الداخل : تطبيق الشريعة بالفعل أما سياستها الخارجية فالدعوة للإسلام . والدفاع عن مبادئه في كل مكان .

وأورث فيصل المسلمين جميعاً قوة البترول بعد أن كان إحدى تبعاتهم !

فما أعظم ما قدم للمسلمين حفيد ابن سعود وابن عبد عبد الوهاب .